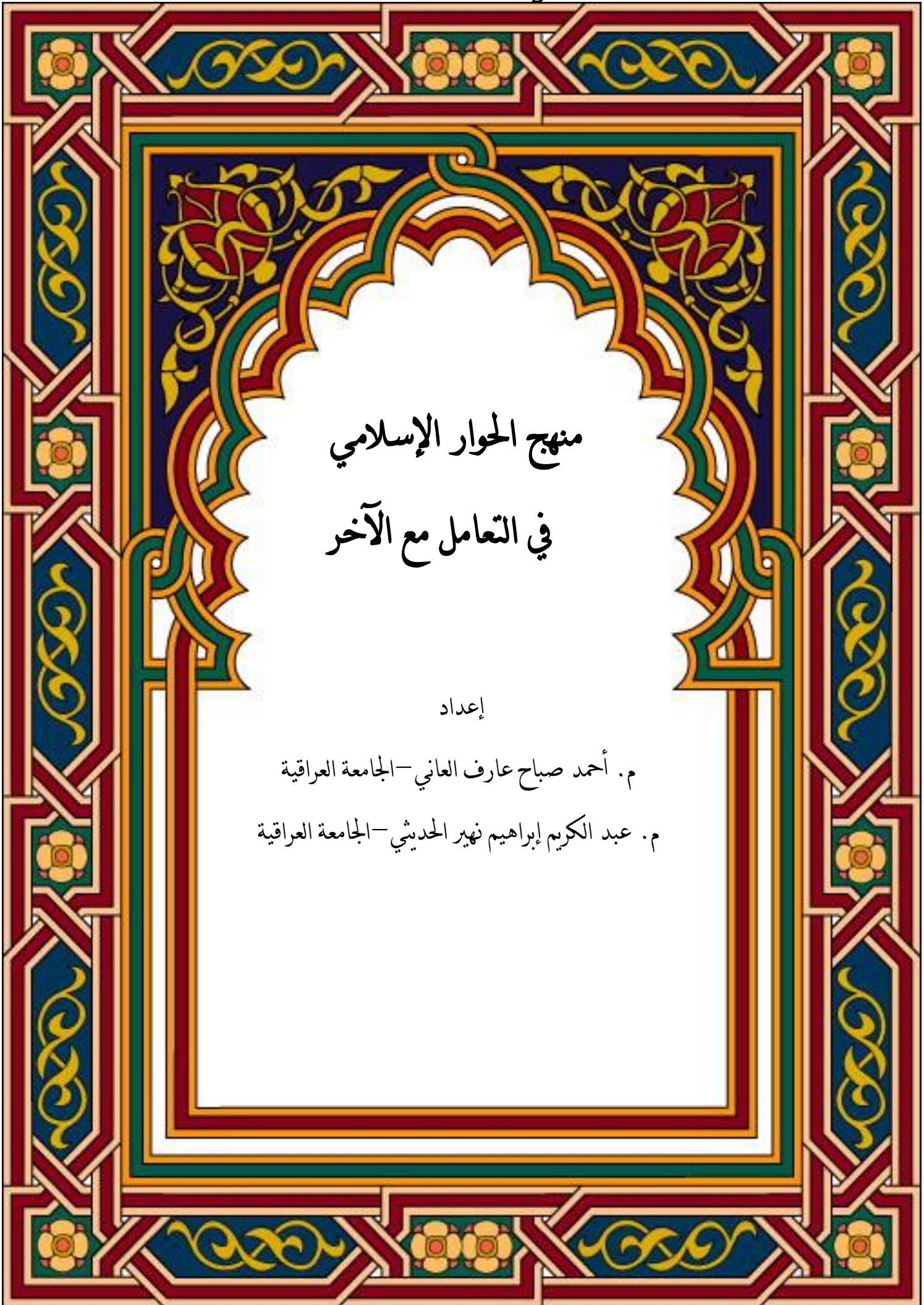




# منهج الحوار الإسلامي في التعامل مع الآخر

إعداد

م. أحمد صباح عارف العاني - الجامعة العراقية

م. عبد الكريم إبراهيم نهر الحديثي - الجامعة العراقية



#### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أنبياء الله أجمعين، عليهم وعلى نبينا أزكى الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

فقد خلق الله آدم عليه السلام، وندبه وذريته من بعده إلى عمارة الأرض بمنهج الله: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة<sup>(١)</sup>﴾، ودعاهم تبارك وتعالى إلى التمسك بهديه الذي أرسل به أنبياءه: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون<sup>(٢)</sup>﴾.

وشاء الله بحكمته البالغة أن يختلف البشر في اتباعهم لأنبياء الله ورسوله، فمنهم شقي وسعيد، وأرسل الله الأنبياء يقيمون حجته على خلقه، يدعونهم إلى دين الله الذي ارتضاه لخلقهم ديناً ليكونوا من السعداء، ويحذرونهم من عصيان أمره حتى لا يكونوا من الأشقياء، ولكن إرسالهم لن يمنع تحقق ما قد سبق في علم الله، فإن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين<sup>(٣)</sup>﴾.

وأمام هذه السنة الكونية فإن المسلم مطالب بدعوة الآخرين إلى الحق الذي شرح الله به صدره، وهو على يقين بأن هداية الله قد لا تكتب لكثيرين ممن يدعوهم، فلا يمنعه ذلك من بلاغهم: ﴿إن عليك إلا البلاغ<sup>(٤)</sup>﴾ .

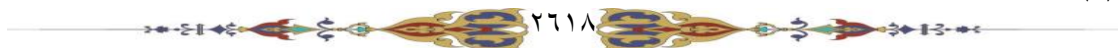
وحين يعرض الناس عن دعوة الله ولا يؤمنون بها، فإن المسلم لا يتوقف عن التفاعل مع الآخرين اجتماعياً وحضارياً، رائده في ذلك كتاب ربه، وأسوته نبيه ﷺ، إذ القرآن أمر بالإحسان إلى الوالدين والجار، ولو كانوا على غير دين الإسلام، كما حث على البر وحسن العشرة مع الذين لم يتصدوا لمقاتلة المسلمين والاعتداء عليهم، كما كانت حياته ﷺ نبزاً في التسامح وحسن التعايش مع الآخرين، ممن اختاروا إلفهم من العقائد والأديان.

(١)- سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(٢)- سورة البقرة ، الآية ٣٨ .

(٣)- سورة يوسف ، الآية ١٠٣ .

(٤)- سورة الشورى ، الآية ٤٨ .





واليوم وقد أصبح العالم قرية صغيرة تتلاقح فيها الثقافات عبر وسائل الإعلام المختلفة، تزداد الحاجة إلى الحوار، وإلى ضرورة تأصيله من الناحية الشرعية، والمسلمون حين يمارسونه هم بأسمى الحاجة إلى معرفة مسوغاته الشرعية وآدابه ومحظوراته.

وإسهاماً منا في هذا الباب نضع بين يدي القارئ الكريم هذا الجهد المتواضع ، والذي نرجو أن يعالج بموضوعية علمية هذه المسألة الشائكة، التي كثر الجدل حولها بين مؤيد مندفع ومعارض متشكك.

وحين نتحدث عن الحوار فإننا لا نقصد بحال من الأحوال الحوار الذي يقوم على وحدة الأديان والتفريق بينها وصهرها في دين عالمي جديد قائم على الجمع بين المتناقضات، الكفر والإيمان، التوحيد والوثنية، فتلك الدعوة دسيسة تسترت بالحوار ينأى المسلم بنفسه عنها ، كما سنبينه في حينه.

وقد قسمنا بحثنا هذا الى : مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة وعلى هذا

المنوال

المقدمة :

المبحث الاول: مفهوم الحوار .

المبحث الثاني: مشروعية الحوار .

المبحث الثالث: قواعد الحوار و اصوله .

المبحث الرابع: الاسس المنهجية للحوار .

المبحث الخامس: ادب الحوار .

الخاتمة :

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: مفهوم الحوار وألفاظ ذات صلة :

١- الحوار لغة : أصله من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى

الشيء.



يقول ابن منظور: " الحَوْر: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء ..  
والمحاورة: المجاورة، والتحاور التجاوب، والمحاورة : مراجعة المنطق،  
والكلام في المخاطبة ".<sup>(١)</sup>

وقال الراغب الأصفهاني: "المحاورة والحوار: المرادة في الكلام ،  
ومنه التحاور".<sup>(٢)</sup>

وهذه المعاني اللغوية وردت في سياق الآيات الكريمة التي ورد فيها  
مادة (حور).

قال تعالى: ﴿إِنَّه ظَنُّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾<sup>(٣)</sup> . قال القرطبي : "أي لن  
يرجع حياً مبعوثاً.. فالحور في كلام العرب الرجوع".

وقال تعالى: ﴿فَقَالَ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ  
نَفَرًا﴾<sup>(٤)</sup> . قال القرطبي: " أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة:  
المجاوبة. والتحاور التجاوب"<sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي  
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾<sup>(٦)</sup>، قال في الجلالين: "تراجعكما"<sup>(٧)</sup> أي في  
الكلام.

وورد هذا المعنى أيضاً في غير ما حديث نبوي، من ذلك أن النبي  
ﷺ كان يستعيز من : ((الْحَوْرُ بَعْدَ الْكَوْرِ)).<sup>(٨)</sup> قال القرطبي : "يعني من  
الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة".<sup>(٩)</sup>

(١)- لسان العرب (٢١٧/٤).

(٢)- مفردات القرآن (٢٦٢).

(٣)- سورة الإنشقاق ، الآية ١٤ .

(٤)- سورة الكهف ، الآية ٣٤ .

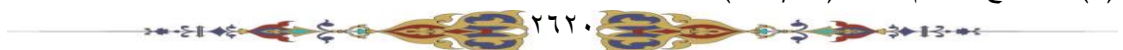
(٥)- الجامع لأحكام القرآن (٤٠٣/١٠).

(٦)- سورة المجادلة ، الآية ١ .

(٧)- تفسير الجلالين (٧٢٤/١).

(٨)- رواه النسائي ح (٥٤٩٨)، وابن ماجه ح (٣٨٨٨)، وصححه الألباني في صحيح  
ابن ماجه ح (٣١٣٦).

(٩)- الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/١٩).







وقال ﷺ : (( من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله. وليس كذلك، إلا حار عليه ))<sup>(١)</sup> قال النووي: " رجع عليه ".<sup>(٢)</sup>

ومما سبق تبين أن الحوار في معناه اللغوي هو مراجعة الكلام وتداوله، وهو ما يكون عادة بين شخصين أو بالأحرى بين طرفين أو أكثر.

الحوار اصطلاحاً: لم تبعد تعريفات أهل الاصطلاح للحوار عن المعاني اللغوية السابقة، فقد أكدت وأضافت إليها بعض المعاني والقيم الأخلاقية التي ينبغي توفرها في الحوار.

ومن هذه التعريفات تعريف الدكتور صالح بن حميد، إذ اعتبر الحوار: " مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردُّ الفاسد من القول والرأي ".<sup>(٣)</sup>

وعرفه بسام داود عبك بأنه: "محادثة بين شخصين أو فريقين ، حول موضوع محدد ، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة ، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل ، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر ".<sup>(٤)</sup>

وهكذا فالمحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً.

٢ - الجدال لغة: من جَدَلَ الحبل إذا فَتَلَه، قال ابن منظور: "الجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها.. ويقال: جادلت الرجل فجادلته جدلاً، أي: غلبته. ورجل جدل، إذا كان أقوى في الخصام. وجادله أي: خاصمه مجادلة وجدالاً ".<sup>(٥)</sup>

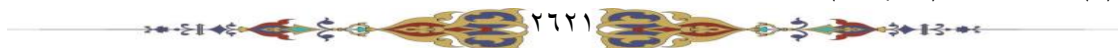
(١) - رواه مسلم ح (٦١).

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم (٥٠/٢).

(٣) - الحوار وآدابه (٢).

(٤) - الحوار الإسلامي المسيحي (٢٠).

(٥) لسان العرب (١١/١٠٥).





وعن معنى الجدل عند أهل الاصطلاح يقول ابن منظور: "الجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة".<sup>(١)</sup>

وعرفه الجرجاني بأنه: "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان"، كما عرّفه أنه: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة".<sup>(٢)</sup>

وأما الجويني فيرى أن الجدال: "إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهم على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة".<sup>(٣)</sup> وفي المعجم الوسيط: "طريقة في المناقشة والاستدلال، وهو عند مناطق المسلمين قياس مؤلف من مشهورات أو مسلمات".<sup>(٤)</sup> وقد ورد إطلاق (الجدل) في نصوص القرآن والسنة على نوعين متباينين:

الأول: الجدل المذموم، وهو الذي يدور في طلب المغالبة لا الحق، أو الذي فيه نوع من الخصومة واللد، ومنه قول الله تعالى: ﴿وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾<sup>(٥)</sup>، ومثله قول الله تعالى في ذم جدال الكافرين: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لا جدال في الحج﴾<sup>(٨)</sup> قال ابن منظور: "قالوا: معناه لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه، فيخرجه إلى ما لا ينبغي".<sup>(٩)</sup>

(١) لسان العرب (١٢/١٠٥).

(٢) - التعريفات (١٠٢).

(٣) - الكافية في الجدل (١٩ - ٢١).

(٤) - المعجم الوسيط (١/١١١).

(٥) - سورة الزخرف ، الآية ٥٨ .

(٦) - سورة غافر ، الآية ٤ .

(٧) - سورة غافر ، الآية ٥ .

(٨) - سورة القرة ، الآية ١٩٧ .

(٩) - لسان العرب (١١/١٠٥).





وفي الحديث: ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هَدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا  
الجدل)).<sup>(١)</sup>

والمراد بذلك كله الجدل على الباطل وطلب المغالبة به، لا الجدل  
بحثاً عن الحق وفي طلبه، فإن ذلك اللون من ألوان الجدل محمود.

والثاني : الجدل المحمود، وهو الذي يكون في طلب الحق بالأسلوب  
الحسن بعيداً عن الخصومة، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهو بهذا المعنى مرادف للحوار، قال تعالى واصفاً حديث المرأة إلى  
النبي ﷺ بالحوار والجدال، فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا  
وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>. قال ابن  
كثير: "وهو يحاوره، أي: يجادله".<sup>(٤)</sup>

وهكذا فالجدال صورة من صور الحوار، وقد أمر بها الله ورسوله،  
وتجنباً لما قد يكتنفه من اللدد في الخصومة فإنهما أمرا بالمجادلة بالتي هي  
أحسن، بعيداً عن ضروب الجدل المذموم الذي يفضي إلى الشقاق.

٣ - المناظرة لغة "من النظير، أو من النظر بالبصيرة" كما عند  
الجرجاني، وقال ابن منظور: "والمنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك أو  
ساءك ... النظر: الفكر في الشيء تقديره وتقيسه منك".<sup>(٥)</sup>

أما في الاصطلاح فقد عرفها الجرجاني: "النظر بالبصيرة من  
الجانبيين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب".<sup>(٦)</sup>

(١) - رواه الترمذي ح (٣٢٥٣)، وابن ماجه ح (٤٨)، وأحمد ح (٢١٦٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح  
الترمذي ح (٢٥٩٣).

(٢) - سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٣) - سورة المجادلة ، الآية ١ .

(٤) - تفسير القرآن العظيم (٨٤/٣).

(٥) التعريفات (٢٩٨)، لسان العرب (٢١٧/٥).

(٦) التعريفات (٢٩٨).





وعرفها ابن منظور: "أن تتأظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتياه".<sup>(١)</sup>

وقال الزبيدي: "والمناظرة المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته".<sup>(٢)</sup>  
قال محمد الأمين الشنقيطي في تعريف المناظرة: "المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق".<sup>(٣)</sup>  
فالمناظرة تفيد النظر والتفكير في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاورة مع الآخرين.

وحوار المناظرة يكون بين شخصين أو فريقين حول موضوع معين، بغية الوصول إلى تبيان الحق وكشف الباطل، مع توفر الرغبة الصادقة في ظهور الحق والانصياع له.

### المطلب الثاني

#### حتمية الخلاف

إن التعدّد في المخلوقات وتنوّعها سنة الله في الكون وناموسه الثابت، فكل شيء في هذا الخلق طبيعته وخصائصه وصفاته التي تقارب غيره أحياناً، وتتأفر عنها في أحيان أخرى، وهكذا فطبيعة الوجود في الكون أساسها التنوّع والتعدّد.

والإنسانية خلقها الله وفق هذه السنة الكونية، فاختلاف البشر إلى أجناس مختلفة وطبائع شتى، وكلّ من تجاهل وتجاوز أو رفض هذه السّنة الماضية لله في خلقه، فقد ناقض الفطرة وأنكر المحسوس.

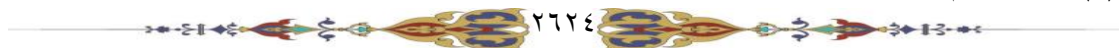
وقد جاء في القرآن الكريم ذكر بعض صور الاختلاف بين البشر، كاختلاف الألوان واللغات، وهما فرع عن اختلاف الأجناس والقوميات: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب (٢١٧/٥).

(٢) تاج العروس (٥٧٥/٣).

(٣) آداب البحث والمناظرة (٣/٢).

(٤) - سورة الروم ، الآية ٢٢ .







وقد أكدت الآيات أن اختلاف البشر في شرائعهم هو أيضاً واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبطة بحكمته، يقول الله: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد".<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾<sup>(٣)</sup> إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حزم: "وقد نص تعالى على أن الاختلاف ليس من عنده، ومعنى ذلك أنه تعالى لم يرض به، وإنما أرادته تعالى إرادة كون، كما أراد الكفر وسائر المعاصي".<sup>(٥)</sup>

قال القرطبي: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة" قال سعيد بن جبير: على ملة الإسلام وحدها.. ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ أي: ١ على أديان شتى قاله مجاهد وقتادة".<sup>(٥)</sup>

وقال ابن كثير: "﴿ولا يزالون مختلفين﴾ إلا من رحم ربك" أي: ولا يزال الخلاف بين الناس في أديانهم واعتقادات ملهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم.. قال الحسن البصري: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، فمن رحم ربك غير مختلف".<sup>(٦)</sup>

ويقول الفخر الرازي: "والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال".<sup>(٧)</sup>

(١)- سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٢)- تفسير القرآن العظيم (٦٧/٢).

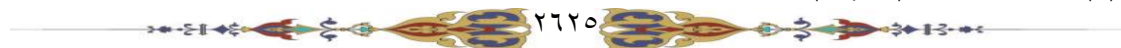
(٣)- سورة هود ، الآية ١١٨ - ١١٩ .

(٤)- الإحكام في أصول الأحكام (٦٤/٢).

(٥)- الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٩).

(٦)- تفسير القرآن العظيم (٤٦٦/٢).

(٧)- التفسير الكبير (٧٦/١٨).





بل يرى الحسن البصري ومقاتل وعطاء وغيرهم من المفسرين أن الله خلق الناس ليختلفوا، وذلك لقوله : ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم <sup>(١)</sup> .

وذهب آخرون من المفسرين ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتادة إلى أن اسم الإشارة يعود إلى الرحمة، أي: خلقهم ليرحمهم.

وذهب ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما إلى عود الإشارة إلى الإثنين معاً، أي: خلقهم ليختلفوا، وليرحم من سلك الصراط المستقيم. <sup>(٢)</sup>

يقول ابن سعدي: " يخبر الله تعالى أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار..".

وعن قوله سبحانه: ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال : "أي اقتضت حكمته، أنه خلقهم ليكون منهم السعداء [و]الأشقياء، والمتفكرون والمختلفون، والفريق الذي هدى الله، والفريق الذي حقت عليهم الضلالة، ليتبين للعباد عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر..". <sup>(٣)</sup>

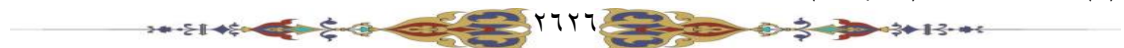
وفي معنى الآية يقول محمد رشيد رضا : "﴿لو شاء ربك﴾ أيها الرسول الحريص على إيمان قومه الأسف على إعراض أكثرهم عن إجابة دعوته واتباع هدايته ﴿ لجعل الناس أمة واحدة ﴾ على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة، لا رأي لهم فيه ولا اختيار، وإذا لما كانوا هم هذا النوع من الخلق المسمى البشر وبنوع الإنسان، بل كانوا في حياتهم الاجتماعية كالنحل أو كالنمل، وفي حياتهم الروحية كالملائكة مفلوطين على اعتقاد الحق وطاعة الله عز وجل، فلا يقع بينهم اختلاف. ولكن خلقهم بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا ملهمين. وعاملين بالاختيار". <sup>(٤)</sup>

(١)- سورة هود ، الآية ١١٨ - ١١٩ .

(٢)- انظر : الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٩).

(٣)- تيسير الكريم الرحمن (٣٩٦/٢).

(٤)- تفسير المنار (١٩٣/١٢).





ولما كان الاختلاف والتعدد آية من آيات الله، فإن الذي يسعى لإلغاء هذا التعدد كلية، فإنما يروم محالاً ويطلب ممتنعاً، لذا كان لابد من الاعتراف بالاختلاف.

والاعتراف بوقوع هذا الخلاف لا يعني إقرار هذه المختلفات ولا تسوية الاختلاف فيها، لكنه يفرض على أهل الحق أن يتصدوا لهداية من قدروا على هدايته من المختلفين عنهم، مع يقينهم بالعجز عن إنقاذ الكثيرين ممن اختار العماية، قال تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: "والمعنى على هذا: أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً أن يشاهدوا الآيات".<sup>(٢)</sup>

وعليه فإن هداية الجميع من المحال، فإن أكثر الناس لا يعلمون الحق، وأكثرهم لا يؤمنون به إن علموا به، وواجب الدعاة الدأب في دعوتهم وطلب أسباب هدايتهم، أي بذل الجهد في إزالة الخلاف ورفع.

فإن أعرض من أعرض عن الإسلام فإنما أمر الله المسلمين بإبلاغ رسالاته في الدنيا، والله يتولى حساب المعرضين في الآخرة، قال الله مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: "فإن تولوا أي أعرضوا عن النظر والاستدلال والإيمان؛ فإنما عليك البلاغ، أي ليس عليك إلا التبليغ، وأما الهداية فاللينا".<sup>(٤)</sup>

وقال تعالى: ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "وإن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام وإخلاص التوحيد لله رب العالمين، فإنما أنت رسول مبلغ، وليس عليك غير

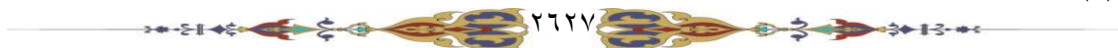
(١)- سورة الرعد ، الآية ٣١ .

(٢)- الجامع لأحكام القرآن (٣٣٠/٩).

(٣)- سورة النحل ، الآية ٨٢ .

(٤)- الجامع لأحكام القرآن (١٦١/١٠).

(٥)- سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .





إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقي وأداء ما كلفتك من طاعتي، ﴿والله بصير بالعباد﴾ يعني بذلك: والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به إليه، فيطيعك بالإسلام، وبمن يتولى منهم عنه معرضاً فيرد عليك ما أرسلتك به إليه، فيعصيك بإبائه الإسلام" (١) .

قال الشوكاني في سياق شرحه لقول الله تعالى: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (٢): "أي: فليس عليك إلا تبليغ أحكام الرسالة، ولا يلزمك حصول الإجابة منهم، لما بلغته إليهم، ﴿وعلينا الحساب﴾ أي: محاسبتهم بأعمالهم ومجازاتهم عليها، وليس ذلك عليك.

وهذا تسليّة من الله سبحانه لرسوله ﷺ ، وإخبار له أنه قد فعل ما أمره الله به، وليس عليه غيره، وأن من لم يجب دعوته ويصدق نبوته، فالله سبحانه محاسبه على ما اجترم واجترأ عليه من ذلك". (٣)

وقال تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر ﷻ لست عليهم بمسيطر﴾ (٤) .

قال الطبري: " يقول: لست عليهم بمسلّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد، يقول: كلهم إليّ، ودعمهم وحكمي فيهم... ". (٥)

قال ابن كثير: " ﴿فإن أعرضوا﴾ يعني المشركين ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ (٦) أي: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ (الغاشية: ٢٢)، وقال عز وجل: ﴿ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (٧) .

(١)- جامع البيان (٢١٥/٣).

(٢)- سورة الرعد ، الآية ٤٠ .

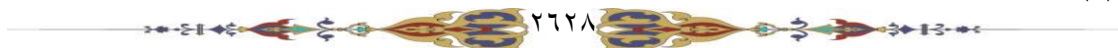
(٣)- فتح القدير (٩٠/٣).

(٤)- سورة الغاشية ، الآية ٢١ - ٢٢ .

(٥)- جامع البيان (١٦٦/٣٠).

(٦)- سورة الشورى ، الآية ٤٨ .

(٧)- سورة البقرة ، الآية ٢٧٢ .





وقال تعالى: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾<sup>(١)</sup> ، وقال جل وعلا في آية الشورى: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾<sup>(٢)</sup> أي: إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم".<sup>(٣)</sup>

فالإسلام - كما رأينا - يعترف بوجود الاختلاف وعدم إمكانية جمع الناس على دين واحد، ويطلب من الدعاة ورثة الأنبياء القيام بواجب البلاغ في الدنيا واستفراغ الوسع في الإرشاد والنصح للعالمين، ثم الله يتولى - بحكمه وعدله - يوم القيامة حساب المعاندين وجزاء المؤمنين.

### المطلب الثالث

#### الحوار ضرورة حياتية:

وينضم إلى الأدلة الشرعية من الكتاب العزيز والسيرة النبوية ضرورة الحوار الواقعية والمتمثلة في جملة من الأمور ؛ منها:

- ما يعيشه العالم اليوم من ثروة هائلة في وسائل الاتصالات، وتدفق المعلومات، اختفت فيها الحدود، وتعذر عندها الاعتزال، فلا مجال للهروب منها، بل لا بد من الحوار حولها، والعمل المشترك على توظيفها في خدمة الإنسانية ومواجهة تداعياتها السلبية.
- أن الحوار وسيلة حياة، تدرك قيمتها عند تصور حياة إنسان في سجن انفرادي لا يحاور أحدا ولا يحاوره أحد، ولا يخفى أن الإنسان مدني بالطبع.

أن الحوار من الوسائل الأساسية للحفاظ على الحضارات ونقلها عبر العصور. قال الشاعر: "الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً ثانياً:

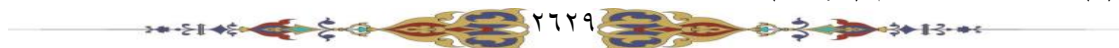
المبحث الثاني: مشروعية الحوار .

الحوار مع الآخر من الأمور التي تدعو إليها النصوص الشرعية، والضرورات الحياتية.

(١)- سورة الرعد ، الآية ٤٠ .

(٢)- سورة الشورى ، الآية ٤٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/١٢١).







#### ١- النصوص الشرعية:

لما بلغت البشرية نضجها العقلي، وحققت وعيها الروحي والذوقي جاء القرآن الكريم بمثلثه العليا وقيمه الإنسانية التي تولي الحوار أهمية كبرى، تظهر في اتساع دائرة الحوار، وشموله لما لا يحصى من المسائل؛ فهناك: محاورات بين الخالق ﷻ وبين مخلوقاته من الرسل الكرام -عليهم السلام- والملائكة المقربين، والشيطان الرجيم... وتناولت هذه المحاورات العديد من القضايا مثل: القرآن الكريم، اليوم الآخر...

وهناك محاورات بين الرسل -عليهم السلام- وأقوامهم، أو بين الأخيار والأشرار... وهناك محاورات مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومع مشركي العرب.

وإذا خاطب القرآن هذه الفئات الموجودة يومها، فإنه يعني مخاطبة أية فئة جديدة توجد عبر التاريخ مهما تنوعت مقولاتها الفكرية ليبهرن على مقدرة العقل الإسلامي لمواجهة أي فكر مستجد.

ومن الآيات الصريحة في الدعوة إلى الحوار:

• قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَئِثُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ولا شك أن محاوراة أهل الكتاب بالتي هي أحسن تعكس نتائج طيبة في التبادل الفكري، والتفاعل الاجتماعي والحضاري والإنساني.

فهذه الآية أعم من الأولى في المحاوراة، فهي تنظر إلى الإنسان من حيث هو إنسان نظرة التقدير والاحترام حتى ولو كان مشركاً، أو وثنيّاً. ولعل ما ورد من ذكر أهل الكتاب في الآية السابقة إنما هو من باب التخصيص لأهل الكتاب وأتباع الأنبياء -عليهم السلام- بالتخلي بأفضل آداب الجدل وأحسنها عند كل لقاء معهم وحوار.

(١)- سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .



• وقوله ﷺ: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> أي هاتوا حجتكم وبينتكم التي تثبت صحة كلامكم .

• وقوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup> (سبأ: ٢٤) هذه الآية تفتح أبواب الحوار مع المسلمين وغيرهم على مصراعيه، دون أن يعني ذلك أن القرآن قد اعترف بأن ما عند الآخر غير المسلم هو حق، أو أن دينهم مساو للدين الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

وتمشيا مع المبادئ الإسلامية الداعية إلى الحرية الكاملة في تكوين القناعات ينضم إلى الآيات السابقة التي تدعو إلى الحوار وتبين آدابه ما كان بين رسول الله ﷺ وصحابته من محاورات ومساجلات فكرية، كما كانت بينه وبين قومه محاورات ترويه لنا كتب السنن والسير؛ فقد بعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول الله ﷺ أمورا لعله يقبل بعضها، فقال له الرسول ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع... حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقدر فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: أفعل. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تنزيل (١-٥ فصلت) إلى السجدة فسجد، ثم قال: {قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك} (٤).

### المبحث الثالث

#### قواعد الحوار وأصوله

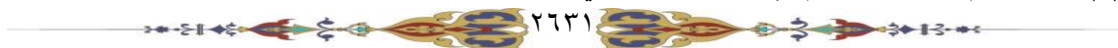
للحوار في الفكر الإسلامي قواعد وأصول وأسس لا بد لأطراف الحوار على اختلاف أنواعه من الانطلاق منها والاعتماد عليها. ولعل من أبرز هذه القواعد والأصول مما يناسب مقامنا هذا ما يلي:  
أولاً: إخلاص النية لله تعالى:

(١)- سورة البقرة ، الآية ١١١ .

(٢)- سورة سبأ ، الآية ٢٤ .

(٣)- عجبك، بسام داود: الحوار الإسلامي المسيحي، المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف/٤٢٤.

(٤)- ابن هشام: سيرة ابن هشام ٣١٣/١، وقال الألباني: إسناده حسن.





وحقيقة الإخلاص ألا يبتغي المحاور من حوارهِ مع الآخر إلا وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وطلب حسن مثوبته، وبيان الحق والذب عنه، ودلالة الناس إلى الهدى وتثبيتهم عليه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا بد من حسن النية، فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء. وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله ومن ورثة الأنبياء خلفاء الرسل"<sup>(١)</sup>.

وإن مما يقدح في الإخلاص وينافيه: الرياء والسمعة وطلب الشهرة والتعصب للرأي، والرغبة في العلو والانتصار.

وقد ضرب الأنبياء والرسل عليهم السلام أروع الأمثلة في إخلاص دعوتهم لله في حوارهم مع أقوامهم، فهذا نوح مثلاً يقول: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا صالح يقول: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. وهذا شعيب يقول: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: العلم :

يعد العلم من القواعد والمقومات الأساسية للحوار، ومن أهم أسباب نجاحه. وبدونه يصبح الحوار هدراً للوقت وضياًعاً للجهد. والعلم المقصود هو العلم بموضوع الحوار ومسائله، والقدرة على النظر والموازنة والاستنباط والاستدلال والترجيح بين الأدلة المختلفة.

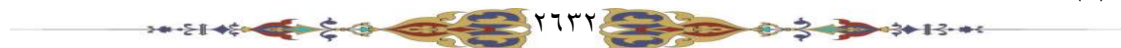
ولا يجوز الخوض في الحوار قبل استكمال أدواته العلمية والعقلية، وذلك لأن العلم هو الوسيلة الصحيحة للتفكير السليم؛ ومن ثم الوصول إلى الحق. ولذا ذم الله سبحانه الذين يجادلون في الله بغير علم، فقال جل وعلا:

(١) مجموع الفتاوى، ج ٢٨/ ص ٢٣٥.

(٢) سورة هود، الآية ٥١.

(٣) سورة الشعراء، الآية ١٠٩.

(٤) سورة هود، الآية ٨٨.





﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>، كما أنكر سبحانه على أهل الكتاب محاجتهم بدون علم، حيث يقول: ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول القرطبي: " في الآية دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له"<sup>(٣)</sup>.

فلا يصلح أي إنسان للحوار حتى وإن كان صاحب حق، فإنه ربما حاور بهدف نصر الحق فيخذل الحق؛ لضعف علمه وبصيرته، وربما حاور بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع خصمه، وربما احتج بحجج باطلة، مثلما يحدث في بعض المناظرات والمحاورات التي تعقد في الآونة الأخيرة، فلا يقتنع الناس بالحق الذي معه.

ومن هذا الباب جاء نهى السلف الصالح عن مناظرة المبتدعة؛ لئلا يناظرهم من ليس قادراً على إفحامهم وإظهار الحجة عليهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المُضِل، كما يُنهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل عِلْجاً قوياً من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة"<sup>(٤)</sup>.

فمن الخطأ بمكان أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يعرف الحق أو لا يجيد الدفاع عن الحق. كما أن الجاهل بالشيء ليس كفواً للعالم به. ومن لا يعلم لا يجوز أن يناظر من يعلم، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم عليه السلام في محاجته لأبيه، حين قال ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾<sup>(٥)</sup>. ومن غير المقبول أن يقوم غير مختص ليعترض على مختص فيخطئه ويُغلّطه، والواجب على من لا يعلم أن يسأل ويتفهم، لا أن يعترض ويجادل بغير علم.

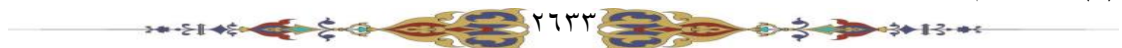
(١) سورة الحج، الآية ٨. وسورة لقمان، الآية ٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤/ ص ٧٠.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، ج ٧/ ص ١٧٣.

(٥) سورة مريم، الآية ٤٣.





ثالثاً: الاعتراف بالآخر واحترامه:

إن المنطلق الصحيح في إجراء أي حوار مع الغير هو الاعتراف بهذا الغير واحترامه وقبوله كما هو؛ ومن ثم قبول الاختلاف معه.

فهذا الاختلاف في منظور الإسلام إنما هو من آيات الله سبحانه الدالة على مشيئته وقدرته وحكمته، حيث يقول تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١) .

إلا أن هذا الاختلاف ينبغي أن لا يُنسي المختلفين أنهم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (٢) ، ويقول النبي ﷺ: "إنما أنتم ولد آدم" (٣). كما ينبغي أن لا ينسيهم أن الله كرم الإنسان من حيث هو إنسان، وأن لا ينسيهم ما هم مطالبون به من تعارف وتعاون على الخير، يقول عز وجل: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {المائدة (٤)}،

ولكي يتحقق هذا التعاون والتعارف ورد الحث في القرآن الكريم على الاعتراف بالآخر واحترامه، يقول عز وجل: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (٥)، ويقول عن أهل الكتاب: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا

(١) سورة الروم، الآية ٢٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، الحديث رقم (١٧٣١٣)، ج ٢٨/ص ٥٤٨، وقال محققو المسند: "إسناده حسن".

(٤) سورة المائدة، الآية ٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٩٩.







وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ {٨٢} وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ {٨٣} (١).

واحترام الطرف الآخر في الحوار يعني كذلك عدم السخرية منه والاستهزاء به والطعن فيه. يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٢)، وهو موقف ينبغي التزامه حتى مع المخالف في الدين، امتثالاً لقوله عز وجل: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٣) (٤).

رابعاً: التجرد لطلب الحق:

التجرد لطلب الحق منطلق أساس من منطلقات الحوار في الفكر الإسلامي، ويقصد به استهداف الحق والسعي الجاد إلى الوصول إلى الحقيقة بوصفها ضالة المؤمن، كما جاء في الحديث النبوي: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها" (٥). ويقتضي ذلك من المحاور اجتناب التعصب لوجهة نظر مسبقة والتمسك بفكرة أو قناعة يرفض نقضها أو مخالفتها، فإن هذا التعصب يتنافى كلية مع طبيعة الحوار السليم التي تعني الانفتاح على الآخر وتبادل الأفكار وتداول الطروحات معه.

إن طبيعة الحوار المنشود تقتضي من طرفي الحوار الاستعداد التام للكشف عن الحقيقة والأخذ بها تبنيًا وتطبيقاً عند ظهورها، ولقد أرشدنا القرآن

(١) سورة المائدة، الآيتان ٨٢ - ٨٣.

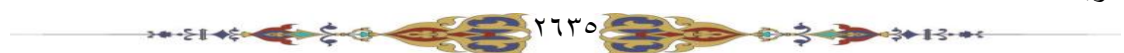
(٢) سورة الحجرات، الآية ١١.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٤) انظر: الحوار من منظور إسلامي - للدكتور عباس الجراري، ص ٣٤ - ٣٦.

(٥) رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب (العلم)، الباب

(١٩)، الحديث رقم (٢٦٩٢)، ج ٥/ص ٥١، وقال: "حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه".





الكريم إلى الأخذ بهذا المبدأ عندما وجه الله سبحانه رسوله ﷺ بأن يقول للمشركين في محاورته لهم قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ<sup>(١)</sup>، وفي هذا غاية الابتعاد عن التعصب لفكرة سابقة، وكمال الرغبة في البحث عن الحقيقة أنى كانت ومن أين صدرت<sup>(٢)</sup>.

وينبغي أن يكون الحوار في طلب الحق - كما يقول أبو حامد الغزالي - : " كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق"<sup>(٣)</sup>.

وقد تمثل ذلك الإمام الشافعي رحمه الله في مناظراته، حيث نراه يقول: " ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ"<sup>(٤)</sup>، ويقول أيضاً: " ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه"<sup>(٥)</sup>. ويعلق الحافظ ابن رجب الحنبلي على كلام الإمام الشافعي هــذا بقوله: " وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه، ومن كانت هذه حاله فإنه لا يكره أن يُردَّ عليه قوله"<sup>(٦)</sup>.

خامساً: تحديد موضوع الحوار وهدفه :

موضوع الحوار هو جوهر عملية الحوار ولبها، لذا لا بد من الاتفاق من قبل الأطراف المتحاورّة على موضوع محدد أو قضية محددة يدور حولها

(١) سورة سبأ، الآية ٢٤.

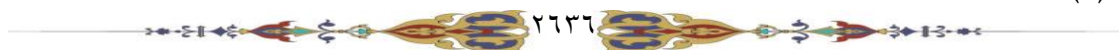
(٢) انظر: الحوار من منظور إسلامي - للدكتور عباس الجراري، ص ٥٣ - ٥٤.

(٣) إحياء علوم الدين، ج ١/ص ٤٤.

(٤) آداب الشافعي ومناقبته - للرازي، ص ٩١. والفقيه والمتفقه - للخطيب البغدادي، ج ٢/ص ٢٦.

(٥) الفقيه والمتفقه، ج ٢/ص ٢٦.

(٦) الفرق بين النصيحة والتعبير، ص ٣١.





الحوار والنقاش، فإن ذلك يُعدُّ عاملاً مهماً من عوامل إنجاح هذا الحوار وجني ثمراته الطيبة.

وافتناد هذا التحديد يؤدي إلى بعثرة الأفكار المطروحة وضبابيتها وعدم وضوحها، ويُحول الحوار إلى لجاج وجدل عقيم لا يجدي نفعاً ولا يحقق كسباً.

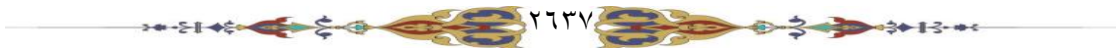
" وقد يختلف المتحاوران في مسائل عديدة وليس على مسألة واحدة، ثم يحدث الحوار بين الطرفين في مسائل الخلاف مجتمعة في آن واحد، فينتقل الحوار من مسألة إلى أخرى بدون أن يُتفق على المسألة الأولى، فيتشعب الحوار ويطول في أمور فرعية بعيدة عن موضوع المحاورة، فيكون عائماً لا زمام له، ولا شك أن الاستمرار بهذه الطريقة يعتبر تبديداً للجهود وإضاعة للوقت، خاصة وأن بعض المتحاورين يلجأ إلى الهروب والمراوغة، فإذا وجد أن الطرف الآخر أظهر عليه الحجة فرَّ إلى جزئية أخرى وتشبث بها، أو تعلق بمسائل جانبية طرحها الطرف الآخر بعيدة عن مجال الخلاف أو بمسائل ذات أثر محدود في القضية المتحاور عليها.

والمنهج العلمي في الحوار يقتضي تحديد نقاط الاختلاف بين المتحاورين بدقة، ثم تُرتب في سلم المحاورة الواحدة بعد الأخرى، يُبدأ بالأهم فالمهم، فينتقل الحوار من الأصول إلى الفروع، ومن الكليات إلى الجزئيات بتناسق علمي مطرد، فليس من الصواب أن تُناقش الفروع قبل الاتفاق على الأصول<sup>(١)</sup>.

يقول الربيع بن سليمان المرادي صاحب الإمام الشافعي رحمهما الله: " كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة فغدا إلى غيرها يقول: نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد"<sup>(٢)</sup>.  
سادساً: الاتفاق على أصول مرجعية للحوار:

(١) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية - لأحمد الصويان، ص ٦٤ بتصرف يسير.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم - لبدر الدين بن جماعة، ص ٤٠.





من المؤكد أنه لا يستقيم أي حوار بين طرفين لا يستند إلى مرجعية واحدة معتمدة يكفل الاستناد إلى مسلماتها حسم الخلافات وضبط الحوار وتوجيهه الوجهة الصحيحة.

وإذا كانت أطراف الحوار تنتمي إلى الإسلام فينبغي اتخاذ النص الشرعي أصلاً مرجعياً معتمداً للحوار بين هذه الأطراف استجابة لأمر الله تعالى في قوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } <sup>(١)</sup> ، فالرد إلى الكتاب والسنة النبوية الصحيحة هو الذي يدرأ النزاع ويقطع دابر الخصومة، فبهما يُعرف مراد الله ومراد رسوله ﷺ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فأَي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه " <sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام الشاطبي: " إن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا، فإن لم يتفقا على شيء لم يقع بمناظرتهم فائدة بحال، وإذا كانت الدعوى لا بد لها من دليل، وكان الدليل عند الخصم متنازعا فيه، فليس عنده بدليل، فصار الإتيان به عبثاً لا يفيد فائدة ولا يحصل مقصوداً. ومقصود المناظرة: رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه، لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق، فلا بد من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السائل معرفة الخصم المستدل. وعلى ذلك دل قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } <sup>(٣)</sup> ، لأن الكتاب والسنة لا خلاف فيهما عند أهل الإسلام، وهما الدليل والأصل المرجوع إليه في مسائل التنازع " <sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى، ج ٢٠/ص ١٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة، ج ٤/ص ٣٣٥.





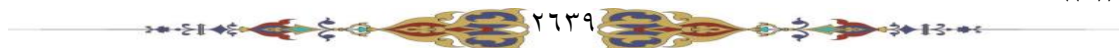
وأما إذا كان أحد طرفي الحوار من غير المسلمين، فينبغي الاتفاق على مرجعية معتمدة ومعتترف بها من قبل الطرفين، كالقواعد الدينية السماوية العامة، والأسس الحضارية المشتركة، والقيم والمثل الإنسانية العليا، وقواعد العقل البشري السليم، والثوابت والمُسلّمات، ونحو ذلك من المرجعيات الكبرى المعتمدة لدى مختلف الأديان والفئات والأجناس البشرية التي يُعرف بها الحق من الباطل والراجح من المرجوح والفاضل من المفضول. وما لم تتوفر هذه الأصول المرجعية فإن الحوار سيسير في دائرة مغلقة تطول ولا تصل إلى نهاية.

سابعاً: الانطلاق في الحوار من نقاط الاتفاق:

ينبغي ألا يبدأ الحوار بنقاط أو جزئيات مختلف فيها بين الطرفين، بل بنقاط متفق عليها أو قواعد مسلمة أو بديهية، ثم يُتدرج منها إلى ما يشبهها أو يقاربها، ثم منها إلى مواضع الخلاف، فإن ذلك أدعى إلى تقريب الشقة، وأحرى إلى تحقيق الوفاق والتوصل إلى نتائج سليمة يرضيها الطرفان.

وهذا هو منهج القرآن الكريم، فلقد حاول بشتى الوسائل الانطلاق في حوارهِ مع الآخر من أرضية مشتركة يتفقان عليها. ومن ذلك على سبيل المثال: قوله تعالى { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آُرِيَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }<sup>(١)</sup>. يقول الشيخ محمد عبده في تفسيره لهذه الآية: "المعنى أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد، والتصرف فيه لإله واحد، وهو خالقه ومدبره، وهو الذي يُعرفنا على السنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ورفض الشبهات التي تعرض لها، حتى إذا سلمنا أن فيما جاءكم من نبيّ المسيح شيئاً فيه لفظ ابن الله خرجناه جميعاً على وجه لا ينقض الأصل الثابت العام الذي اتفق عليه الأنبياء، فإن سلمنا أن المسيح قال إنه ابن الله، قلنا هل فسر هذا القول بأنه إله يعبد؟، وهل دعا إلى عبادته وعبادة أمه؟، أم كان يدعو إلى عبادة الله وحده؟، لا شك أنكم متفقون معنا

((١)) سورة آل عمران، الآية ٦٤.





على أنه كان يدعو إلى عبادة الله وحده والإخلاص له بالتصريح الذي لا يقبل التأويل" (١).

ثامناً: عدم التناقض:

والمقصود به سلامة دعوى المحاور ودليله من التعارض، وألا يكون بعض كلامه ينقض البعض الآخر، فإن كان كذلك كان كلامه ساقطاً بدهشة وفكرته لاغية، ذلك أن التناقض في الأفكار والتباين في طرحها يجعل تلك الأفكار متهافة لا يُلتفت إليها، وبعيدة عن منطق الحق والموضوعية العلمية.

ومن أمثلة التناقض في الدعوى: ما حكاه القرآن الكريم على لسان كفار قريش في قولهم عن الآيات التي جاء بها النبي محمد ﷺ بأنها سحر مستمر، ففي قولهم هذا تعارض وتناقض واضح لا يستحق رداً ولا يحتاج مناقشة، فهو ساقط علمياً، لأن من شأن الأمور المستمرة أن لا تكون سحراً، أما أن يكون الشيء سحراً ومستمراً معاً في وقت واحد فذلك جمع بين متضادين لا يجتمعان. ومثل ذلك أيضاً وصف فرعون لموسى عليه السلام لما جاء بالحجج الدامغة والآيات الباهرة، وهو وصف يتضمن أمرين متناقضين لا يجتمعان؛ هما السحر والجنون، لأن الشأن في الساحر العقل والذكاء والفطنة، أما المجنون فلا عقل معه البتة، وهذا من فرعون تهافت وتناقض بيّن (٢).

تاسعاً: سلوك الطرق العلمية والتزامها :

ومن هذه الطرق :

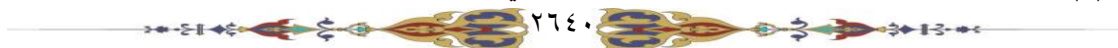
١- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوى.

٢- صحة تقديم النقل في الأمور المنقولة.

وفي هذين الطريقتين جاءت القاعدة الحوارية المشهورة: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدعياً فالدليل). وجاء في التنزيل قوله تعالى: {

(١) تفسير المنار - لمحمد رشيد رضا، ج ٣/ص ٣٢٦.

(٢) انظر: الحوار الذات والآخر - للدكتور عبد الستار الهيتي، ص ٥٩ - ٦٠.







وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }<sup>(١)</sup>، وقوله: { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ }<sup>(٢)</sup>(٣).

#### المبحث الرابع

##### الأسس المنهجية للتعامل مع الآخر :

للتعامل مع الآخر أسسه المنهجية التي تحكمه وتضبطه وهي :

الأساس الأول: تحديد مجال التعامل ونطاقه.

لا بد أن يكون مجال التعامل ونطاقه محددين واضحين، ليتسنى لكل من المتعاملين العمل في خطى واضحة بينه مستتيرة، ذلك أن عدم وضوح مجال التعامل ونطاقه من شأنه إضاعة الوقت دون طائل وتبديد الطاقة دون فائدة، وعلى العكس من ذلك كلما اتضح مجال التعامل ونطاقه وتحددت معالمه كان ذلك ادعى إلى استغلال الوقت والجهد لأن كلا المتعاملين يعلم مجال تعامله فيصرف جهده إليه ويعلم المواطن التي ليست محلاً لتعامله فلا يصرّف جهده إليها.

الأساس الثاني: تحديد آليات التعامل

يقصد بآليات التعامل: مجمل الإجراءات التنظيمية التي تساعد على بلوغ التعامل إلى مسعاه النهائي، وهذه الإجراءات والأدوات يجب أن تكون واضحة ومحددة من خلال الآتي: (٤)

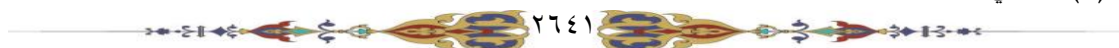
١. ضرورة التأكد من صحة المعلومات الواردة في التعامل.

(١) سورة البقرة، الآية ١١١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٤.

(٣) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام - للدكتور صالح بن حميد، وهي دراسة موجزة منشورة على موقع مكتبة صيد الفوائد الإسلامية بتاريخ ١٢/٨/١٤٢٤هـ، ص ٤.

(٤) الهيئتي، الحوار، ص ٦٨ - ص ٦٩.





٢. ضرورة مناقشة القضايا الواردة في التعامل دون أن يكون في ذهن قرار مسبق أو حكم ثابت أو موقف صارم.

٣. ضرورة الاستئناس بذوي الخبرة والمختصين الذين لهم علاقة بموضوع التعامل.

٤. استخدام المناهج العلمية والمنطقية أثناء التعامل من خلال التفكير والتحليل والاستنباط، ليكون التعامل عقلانياً ورشيداً.

٥. ترتيب عناصر التعامل خطوة خطوة، ابتداء بالمبادئ الجزئية وصولاً إلى الكليات والنتائج الكبرى، التي هي هدف التعامل وغايته.

الأساس الثالث: استناد التعامل إلى معايير يؤمن بها المتعاملان

لابد من استناد التعامل إلى معايير يؤمن بها المتعاملان، فإذا كان التعامل بين مؤمنين وملحدين كان المعيار هو العقل والحقائق العلمية المتفق على التسليم بها، وإذا كان بين مؤمنين بوجود الخالق أضيف هذا إلى تلك المعايير، وأضيف إليه أيضاً المحاكمة إلى حقائق دينية يؤمن بها كل من الفريقين، وإذا كان بين منتسبين إلى دين واحد كالإسلام مثلاً كانت المعايير مراجع دينهم الذي به يؤمنون<sup>(١)</sup>.

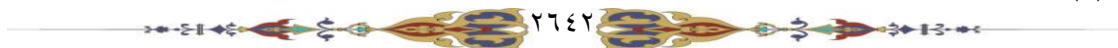
الأساس الرابع: تحديد الغاية من التعامل

لابد من تحديد الغاية من التعامل، إذ بدون تحديد أهداف ومرامي التعامل لن يصل المتعاملون إلى غايات مرجوة، فتحدد القضايا والأهداف بشكل مدخلاً هاماً لا يحيد عنه طرف من الأطراف، لئلا يكون التعامل دائراً في حلقة مفرغة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) إدريس، جعفر شيخ، الحوار مجادلة جادة لا مهادنة، مقال في مجلة البيان، السنة الثامنة عشرة، العدد: ١٩٠، جماد الآخرة، ١٤٢٤هـ، أغسطس، ٢٠٠٣، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ص ٤٥.

(٢) العليان، حوار الحضارات، ص ٨٣.





#### الأساس الخامس: العدل والموضوعية

وهما ركيزتان أساسيتان في التعامل مع الآخر، "ففي ظل فقدان العدالة والموضوعية، وغياب المعايير والمقاييس المنضبطة تصبح النظرة الجائرة والأحكام المسبقة في المقياس في التعامل مع الآخر. فعلى سبيل المثال فإن الغرب مع بعض الاستثناء يتبنى مواقف معادية للنهوض الإسلامي، وألقى العدالة والإنصاف في سياساته، واحتلت الأحكام المسبقة القائمة على الاتهام، والتوجس، وعدم اتخاذ مواقف عادلة تجاه قضايانا المختلفة<sup>(١)</sup>

#### الأساس السادس: الاحترام المتبادل

على المتعاملين أن يتقيدوا فيما بينهم بحسن الخطاب والتزام القول الحسن وتجنب الازدراء والتسفيه، ذلك أن احترام الآخرين من الأمور الإيجابية التي تسهم في إنجاح التعامل والارتفاع به إلى آفاق متقدمة. وهذه الآداب الإيجابية لها من الآثار الطيبة التي تسهم في بلورة معطيات وأسس ناجحة للتعامل يتسم بالانفتاح والقبول لدى كل الأطراف، وهذا الأسلوب أيضاً في اللين والقول الحسن يتجلى في التأدب والصبر والحلم والتودد والنصح والهدوء والرفق في غير علو ولا عناد ولا تعصب ولا تشدد ولا تتطع ولا تطاول ولا كبر وغيرها من الأساليب والطرق الحكيمة في آداب التعامل .

#### المبحث الخامس

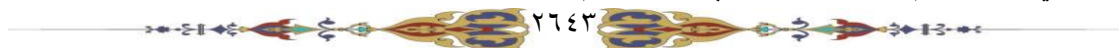
#### أدب الحوار مع الآخر

لن نجد المتأمل في آيات القرآن وهدي سيد الأنام كبير صعوبة في التوصل إلى آداب الحوار وأخلاقياته، فالقرآن أوضح بجلاء ما ينبغي على المسلم أن يتصف به وهو يحاور غير المسلمين، بينما كان هدي النبي ﷺ ترجمان ذلك ومصادقه.

والآداب في هذا الباب كثيرة، منها:

١- قولوا للناس حسناً:

(١) العليان، حوار الحضارات، ص ٨٧ نقلاً عن مقال رأي في جدلية التفاهم الثقافي السياسي بين الإسلام والغرب لرضا علوي، مجلة العالم، العدد: ٤٨٤، ١٩٩٣، ص ٣٢.





لما كان الحوار وسيلة من وسائل الدعوة والتعريف بالإسلام، توجب على الدعاة أن يتخلقوا حال دعوتهم بأخلاق الإسلام، ويجتنبوا السوء من القول، ويلتزموا الحسن منه، قال الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾<sup>(١)</sup> .

قال القرطبي : " وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجر والسني والمبتدع مدهنة، أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فقلوا له قولاً ليناً﴾<sup>(٢)</sup> ، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون ، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه.

وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء: إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل في حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ. فقال: لا تفعل، يقول الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى " .<sup>(٣)</sup>

وقال الحسن : "لين القول من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله، وأحبه ... قال عطاء بن أبي رباح : من لقيت من الناس فقل له حسناً من القول " .<sup>(٤)</sup>

ويأمر الله عباده أن يقولوا التي هي أحسن: ﴿قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم﴾<sup>(٥)</sup> . قال القرطبي : " نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه وسبه، وهم بقتله، فكادت تثير فتنة، فأنزل الله تعالى فيه ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ " <sup>(٦)</sup>

(١)- سورة البقرة ، الآية ٨٣ .

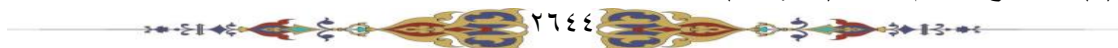
(٢)- سورة طه ، الآية ٤٤ .

(٣)- الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢) .

(٤)- جامع البيان (٣٩٢/١) .

(٥)- سورة الإسراء ، الآية ٥٣ .

(٦)- الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦/١٠) .





قال الحسن: "هو أن يقول للكافر إذا تشطط : هداك الله، يرحمك الله.. وعلى هذا تكون الآية عامة في المؤمن والكافر، أي قل للجميع".<sup>(١)</sup>

قال ابن كثير: "﴿وجادلهم بالتّي هي أحسن﴾، أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب.. فأمر تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فقلّوا له قولاً ليناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾ وقوله : ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾<sup>(٢)</sup> ، أي قد علم الشقي".<sup>(٣)</sup>

وبلغت ابن تيمية النظر إلى أن الله قال : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتّي هي أحسن﴾<sup>(٤)</sup> ، فطلب الجدال بالتّي هي أحسن، "ولم يقل بالحسنة كما قال في الموعظة، لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة، فيحتاج أن يكون بالتّي هي أحسن، حتّى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة".<sup>(٥)</sup>

قال الشوكاني في تبيان معنى الحكمة: "أي بالمقالة المحكّمة الصحيحة"، بينما فسّر الموعظة بأنها تلك "التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها".<sup>(٦)</sup>

وإن من الحكمة والموعظة الحسنة أن لا نجبه من ندعوه بقولنا: يا كافر. في باب العيب واللمز ، وإن كنا لا نشك في كفره يقول نظام الحنفي: "لو قال ليهودي أو مجوسي: يا كافر. يأثم إن شق عليه"<sup>(٧)</sup>، وذلك الإثم يلحق صاحبه لهجره الحكمة في الدعوة والتي هي أحسن في البلاغ.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٧٧).

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٩٢).

(٤) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٥) الرد على المنطقيين (٤٦٨).

(٦) فتح القدير (٣/٢٠٣).

(٧) الفتاوى الهندية (٥/٣٤٨).



## ٢- مقابلة الاساءة بالاحسان:

لا ريب أن اختلاف العقائد يورث الضغائن، وقد يصدر من اللسان ما يسوء المسلم سماعه، سواء ما كان متعلقاً بمعتقد أم بشخصه، وهذه الإساءة فرع عن الكفر الذي يتلبس به المحاور، فماذا يكون موقف المحاور المسلم؟ هل يغلق باب الحوار ويوقف مسار الدعوة، أم يتغاضى عن خطأ الآخر سياسة وصوناً لمصلحة الدعوة؟

لا ريب أن الموقف يفرض التصرف الأمثل الذي يسلكه الداعية تجاه هذا العدوان، إذ قد أذن الشرع برد العدوان : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين<sup>(١)</sup>﴾ ، قال القرطبي : " أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم، ولئن صبرتم عن عقوبته، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم، ووكلتم أمره إليه حتى يكون هو المتولي عقوبته ﴿لهو خير للصابرين﴾ يقول: للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر احتساباً وابتغاء ثواب الله".<sup>(٢)</sup> وفي الصبر على أخطاء المخالف يقول الله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون<sup>(٣)</sup>﴾ .

قال الطبري : "وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها: أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك".<sup>(٤)</sup>

ويقول ابن كثير: " أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى..".<sup>(٥)</sup>

ونقل الطبري عن مجاهد في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ قوله: "إن قالوا شراً، فقولوا خيراً: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ فانتصروا منهم".<sup>(٦)</sup>

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٦ .

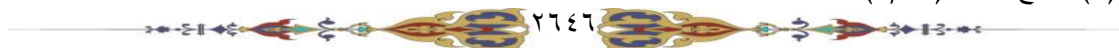
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٩٥).

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٩٦ .

(٤) جامع البيان (١٤/١٩٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/١٤).

(٦) جامع البيان (١/٢١).







وقال تعالى مبيناً للمؤمنين ما سيتعرضون له من أذى المشركين، وأمرأ إياهم بالصبر والتقوى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً<sup>(١)</sup>﴾ (آل عمران: ١٨٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأمر سبحانه وتعالى بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى .... وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٨)، فنهى أن يحمل المؤمنین بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم... فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا..<sup>(٢)</sup>".

وفي آية أخرى أخبر الله بتكذب كثير من أهل الكتاب طريق الإيمان وإعراضهم عما تبين لهم من الحق، بل وصدّهم عنه وحرصهم على إضلال المهتدين حسداً وبغياً ، وفي مقابله أمر الله بالعفو والصفح حتى يكون الجزاء في دار عدله : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير<sup>(٣)</sup>﴾. قال القرطبي: "والعفو ترك المؤاخذة بالذنب ، والصفح إزالة أثره من النفس".<sup>(٤)</sup>

وقد التزم ﷺ أمر ربه فصبر على أذى المشركين وأعرض عنه، ولم يقابل إساءتهم بالمثل، وصور ذلك في سيرته كثيرة.

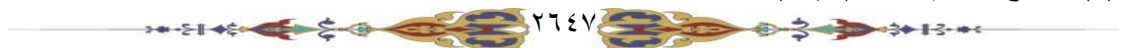
منها ما صنعه النبي ﷺ مع اليهود الذين أتوا إليه يحاورونه، تقول عائشة رضي الله عنها: إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، قال: ((وعليكم))، فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله، وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ : ((مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف أو الفحش)).

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٦ .

(٢) الاستقامة (٣٨/١).

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٠٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧١/٢).





قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: ((أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في)).<sup>(١)</sup>

ومثل هذا الأدب صنعه النبي ﷺ حين قسم قسماً فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، يقول ابن مسعود: فأتييت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: ((يرحم الله موسى، قد أؤذي بأكثر من هذا، فصبر)).<sup>(٢)</sup>

ومن حسن المعاملة الإعراض ما أمكن عن المنازعة وأسبابها، ولو بالإعراض عن الإجابة، روى ابن مردويه وابن أبي حاتم بسندهما عن ابن عباس أن قريشاً دعوا رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل فيهم، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطأون عقبه أي يسودوه.

فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، وهي لك ولنا فيها صلاح، قال: ((ما هي؟)) قالوا تعبد آلهتنا سنة اللات والعزى، و نعبد إلهك سنة.

قال: ((حتى أنظر ما يأتيني من ربي)) فجاءه الوحي من الله من اللوح المحفوظ : ﴿قل يا أيها الكافرون﴾<sup>(٣)</sup> إلى آخرها "<sup>(٤)</sup>.

و قوله في هذا الحديث: ((حتى أنظر ما يأتيني من ربي)) نوع من التلطف في الخروج من الموضوع.

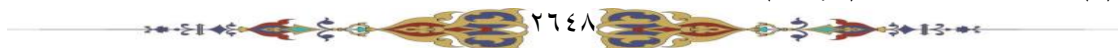
قال ابن تيمية: "قد يقول هذا من يقصد به دفع الظالمين بالتي هي أحسن، ليجعل حجه أن الذي عليه طاعته قد منع من ذلك، فيؤخر الجواب حتى يستأمره، وإن كان هو يعلم أن هذا القول الذي قالوه لا سبيل إليه، وقد تخطب إلى الرجل ابنته فيقول: حتى أشاور أمها، وهو يريد أن لا يزوجهها بذلك، و يعلم أن أمها لا تشير به، وكذلك قد يقول النائب: حتى أشاور

(١) رواه البخاري ح (٦٤٠١).

(٢) رواه البخاري ح (٣٤٠٥)، ومسلم ح (١٠٦٢).

(٣) سورة الكافرون ، الآية ١ .

(٤) انظره : الدر المنثور (٢٤٥/٧).





السلطان " (١) فالإعراض عن الجواب نوع من التلطف وأدب من آداب الدعوة والحوار .

٣- من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه:

لعل من الضروريات التي لا يحسن بأحد تجاوزها عدم خوض المرء فيما لا يملك عليه بينة ولا برهاناً، والرزية أن يهرف المرء بما لا يعرف، وأن يقول ما لا يعلم، وهذا الذي نعاه القرآن على أهل الكتاب، وهو ذم لكل من صنع صنيعهم، قال الله تعالى: ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ (٢)، قال القرطبي : " دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده .. قد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن، فقال تعالى: ﴿وجادلهم بالتى هي أحسن﴾ " (٣).

وقال تعالى: ﴿إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾ (٤) .

وفي هذه الآيات تقرير من القرآن الكريم لأولئك الذين يخاصمون الأنبياء، ويلجئون إلى الحوار دون دليل ولا برهان، ولأنهم لا يملكون علماً ولا حجة، فإنهم يعالجون مسائلهم بالهوى والجدال بالباطل والتكذيب والاستكبار عن قبول الحق.

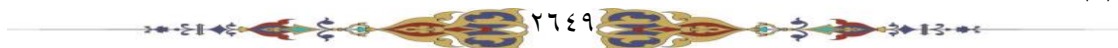
والنبي ﷺ - وهو أعلم الخلق - توقف في حوار مع أهل نجران حتى أتاه علم الله في المسألة التي يحاور فيها، إذ لما جاءه راهبا نجران عرض عليهما الإسلام، فقال أحدهما: إنا قد أسلمنا قبلك. فقال: ((كذبتما. إنه يمنعكما عن الإسلام ثلاثة: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وقولكم: لله ولد)).

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٤٥٥).

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٦٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠٨/٤).

(٤) سورة غافر ، الآية ٥٦ .





قال [الحبر]: من أبو عيسى؟ وكان ﷺ لا يعجل حتى يأتي أمر ربه،  
فأنزل الله تعالى: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ  
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩).<sup>(١)</sup>

فالمشاركون في الحوار مدعوون لالتزام هذا الهدي النبوي، وعدم  
الخوض في قضايا الحوار المختلفة إلا ببينة من الله أو برهان من رسوله.

#### ٤- ترك المجال للمحاور بذكر معتقده

ولما كان الحوار يدور بين طرفين أو جهتين، فإنه من الطبيعي أن  
يعرب كل طرف عن معتقده، وأن يذكر ما يجول في خاطره من تساؤلات،  
يبحث عن إجابة لها، وقد يقع المحاور غير المسلم بما لم يعتقده المسلم من  
أدب واحترام لشعائر الإسلام، فقد يذكر اسم النبي ﷺ مجرداً، وقد يقول بأن  
القرآن من كلام محمد، أو أن المسيح هو الله، وغيرها مما يعتقده ويستكره  
المسلم ويستقبحه، بل قد يرغب المحاور بممارسة طقوسه وعبادته، فهل يؤذن  
له بذلك طلباً لاستمرار الحوار وطمعاً في مصلحة غالبية؟

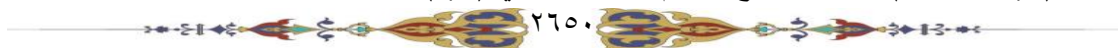
وفي الإجابة عنه نقول: وقع مثل هذا زمن النبي ﷺ، فقد قيل ﷺ من  
حبر يهودي أن يخاطبه باسمه مجرداً من النبوة، إذ هو مما لا يعتقده  
محاوره، قال ثوبان: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحيار  
اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم  
تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله؟ فقال لليهودي: إنما ندعوه باسمه  
الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ : ((إن اسمي محمد الذي سماني به  
أهلي...)).<sup>(٢)</sup>

وحين حاور النبي ﷺ في مسجده بالمدينة وفد نصارى نجران الذي  
قدم على النبي ﷺ في خمسة عشر رجلاً بقيادة أسقفهم أبي الحارث؛ أذن لهم  
النبي ﷺ أن يقيموا صلاتهم في أحد أركان مسجده.<sup>(٣)</sup>

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٦٣/٣)، و أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٥٨/٢).

(٢) رواه مسلم ح (٣٥١).

(٣) ذكره ابن هشام في سيرته (٥١١/١)، ونقل مثله ابن القيم في زاد المعاد عن أبي  
أمامة (٦٣٠-٦٣١)، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥/٤).





قال ابن القيم: "وفيها جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وفيها تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضاً إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك".<sup>(١)</sup>

ويقول: "أما الآن فلا مصلحة للمسلمين في دخولهم مساجدهم والجلوس فيها، فإن دعت إلى ذلك مصلحة راجحة جاز دخولها بلا إذن".<sup>(٢)</sup>

ومن صور تسامح المسلمين في حوارهم مع أهل الكتاب تمكينهم من الإعراب عن عقائدهم ومحاورة المسلمين فيما يشكل عليهم فهمه من أمور الإسلام، ومن ذلك أن المغيرة بن شعبة أتى أهل نجران فقالوا: ألسنتم تقرأون: ﴿يا أخت هارون﴾ (مريم: ٢٨)، وقد علمتم ما بين موسى وعيسى. قال المغيرة: فلم أدر ما أحببهم.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته. فقال: ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم)).<sup>(٣)</sup>

يقول ابن تيمية: " وهذا السؤال الذي هو سؤال الطاعن في القرآن لما أورده أهل نجران الكفار على رسول الله ﷺ، ولم يجبه عنه: أجاب عنه النبي ﷺ، ولم يقل لهم: ليس لكم عندي إلا السيف، ولا قال: قد نقضتم العهد إن كانوا قد عاهدوه، وقد عرف أن أهل نجران لم يرسل إليهم رسولا إلا والجهاد مأمور به ".<sup>(٤)</sup>

وهكذا فالإفساح للمخالف في الإعراب عن دينه وممارسة شعائره لون فريد من ألوان التسامح الإسلامي، وهو أيضاً أدب آخر من آداب الحوار والجدال.

#### ٥- المداراة وحسن التعامل:

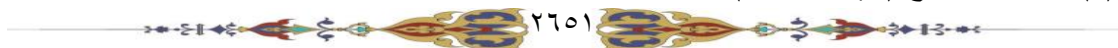
ومن آداب الحوار حسن المعاملة مع المحاور، ومداراة المحاور الآخر وإكرامه وحسن استقباله، فعن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن

(١) زاد المعاد (٦٣٨/٣).

(٢) أحكام أهل الذمة (٤٠٨/١).

(٣) رواه مسلم ح (٢١٣٥).

(٤) الجواب الصحيح (٢٢٦-٢٢٧).





على النبي ﷺ فلما رآه قال: ((بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة)) فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه.

فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلعت في وجهه، وانبسطت إليه فقال رسول الله ﷺ: ((يا عائشة، متى عهدتني فحاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)).<sup>(١)</sup>

وفي شرح الحديث ينقل ابن حجر عن القرطبي قوله: "في الحديث .. جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداينة في دين الله تعالى ... والفرق بين المداراة والمداينة أن المداراة بذل الدنيا لصالح الدين أو الدين أو هما معاً ، وهي مباحة، وربما استحببت ، والمداينة ترك الدين لصالح الدنيا ، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله ، فإن قوله فيه قول حق ، وفعله معه حسن عشرة ...".

وعقب ابن حجر بقوله: " وهذا الحديث أصل في المداراة ".<sup>(٢)</sup>

ومن المداراة مناداة المحاورين غير المسلمين بما يليق بهم من ألقاب يستحقونها، وتحيتهم تحية مناسبة، كقوله ﷺ : (( بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم )).<sup>(٣)</sup>

قال ابن حجر : "قوله: (( عظيم الروم )) فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة، لأنه معزول بحكم الإسلام ، لكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التألف..".<sup>(٤)</sup>

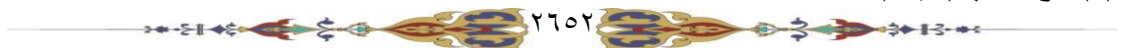
قال النووي: " ولم يقل : إلى هرقل فقط ، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال: ((عظيم الروم)) ، أي الذي يعظمونه ويقدمونه ، وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك

(١) رواه البخاري ح (٦٠٣٢).

(٢) فتح الباري (١٠/٤٥٤).

(٣) رواه البخاري ح (٧)، ومسلم ح (١٧٧٣).

(٤) فتح الباري (١/٣٨).







بالحكمة والموعظة الحسنة<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ فقولاً له قولاً ليناً ﴾<sup>(٢)</sup> وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً من المداراة للآخرين الفعل الحسن، كعيادة مريضهم، وإكرام وفدهم، تأسيساً بالنبي ﷺ في صنيعه مع عدي بن حاتم الطائي وعكرمة بن أبي جهل قبل إسلامهما.

قال عدي بن حاتم: "أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئتُ بغير أمان ولا كتاب، فلما دُفعتُ إليه أخذ بيدي .. حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادة، فجلس عليها "<sup>(٤)</sup>.

ولما قدم عكرمة بن أبي جهل على النبي ﷺ قال له : ((مرحباً بالراكب المهاجر))، وفي رواية الطبراني: فلما رآه النبي ﷺ قام إليه، فاعتنقه، وقال: ((مرحباً بالراكب المهاجر))<sup>(٥)</sup>.

ومن قبل أحسن النبي ﷺ معاملة أبيه على طغيانه وكفره، يقول المغيرة بن شعبة: إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أنني كنت أمشي مع أبي جهل بمكة، فلقينا رسول الله ﷺ فقال له: ((يا أبا الحكم، هلم إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه، أدعوك إلى الله)).<sup>(٦)</sup> فناده ﷺ بأحب الأسماء إليه تألفاً لقلبه.

ومن المداراة وحسن التعامل مع الآخر صنيع مؤمن آل فرعون مع قومه، فقد كان يقول لهم مع كل نصيحة : ﴿يا قوم﴾<sup>(٧)</sup> . يتألفهم بذلك. قال القرطبي: "قال: ﴿يا قوم﴾ ليكونوا أقرب إلى قبول وعظه"<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٢) سورة طه ، الآية ٤٤ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٨/١٢).

(٤) رواه الترمذي ح (٢٩٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ح (٢٣٥٣).

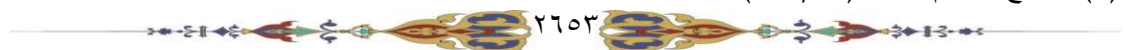
(٥) رواه الترمذي ح (٢٧٣٥)، الحاكم في المستدرک ح (٥٠٥٩)، والطبراني في الكبير ح

(١٠٢١)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ح (٥١٨).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح (٣٥٨٢٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٦٧/٢).

(٧) سورة غافر ، الآية ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٣١٠/١٥).





فالمحاور المسلم يتأدب بالرفق و اللطف والمدارة، إذ الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه.

#### ٦- التنزل مع الخصم في الحوار:

قال تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين<sup>(١)</sup>﴾ قال القرطبي: "هذا على وجه الإنصاف في الحجة كما يقول القائل: أهدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرين متضادين، وأحد الفريقين مهتد، وهو نحن، والآخر ضال، وهو أنتم".<sup>(٢)</sup>

ونقل القرطبي قول بعض أهل العلم: "وقد علم أنه على هدى، وأنهم على ضلال مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب، فلم يقل: أنا على هدى، وأنتم على ضلال".<sup>(٣)</sup>

ويعلمنا الله هذا الأدب في التعامل مع الآخرين، وهو يؤدب نبيه بقوله: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين<sup>(٤)</sup>﴾ ، قال القرطبي: "وقيل: المعنى: قل يا محمد: إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد ولده، ولكن يستحيل أن يكون له ولد، وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت ما قلت بالدليل، فأنا أول من يعتقده، وهذه مبالغة في الاستبعاد، أي لا سبيل إلى اعتقاده، وهذا ترقيق في الكلام كقوله: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين<sup>(٥)</sup>﴾ (سبأ: ٢٤)، والمعنى على هذا: فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد".<sup>(٦)</sup>

قال الطبري: "لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحسن الخطاب، كما قال جل ثناؤه: ﴿قل الله وإنا أو إياكم لعلى

(١) سورة سبأ ، الآية ٢٤ .

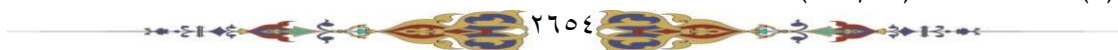
(٢) المصدر نفسه: (٢٨٩/١٤).

(٣) المصدر نفسه: (١٤/٢).

(٤) سورة الزخرف ، الآية ٨١ .

(٥) سورة سبأ ، الآية ٢٤ .

(٦) المصدر نفسه: (١١٩/١٦).





هدى أو في ضلال مبين﴾ ، وقد علم أن الحق معه، وأن مخالفه في الضلال المبين " .<sup>(١)</sup>

ومثله صنيع إبراهيم عليه السلام من قبل، حيث قال لقومه: ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهْدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾ فلما رأى الشمس بازغاً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون <sup>(٢)</sup> .

قال الرازي: "هذه المباحثة إنما جرت مع قومه لأجل أن يرشداهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن إبراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه". وقوله عليه السلام عن الشمس والقمر والكوكب: ﴿ هذا ربي ﴾ إنما نوع من التدرج في إبطال ربوبيتها.

وقد ذكر الرازي وجوهاً في توجيه قول إبراهيم عليه السلام منها "أنه أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب، إلا أنه عليه السلام كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبُعد طباعهم عن قبول الدلائل؛ أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجة، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب، مع أن قلبه صلوات الله عليه كان مطمئناً بالإيمان، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله، وتام التقرير أنه لما لم يجد إلى الدعوة طريقاً سوى هذا الطريق، وكان عليه السلام مأموراً بالدعوة إلى الله كان بمنزلة المكروه على كلمة الكفر".<sup>(٣)</sup>

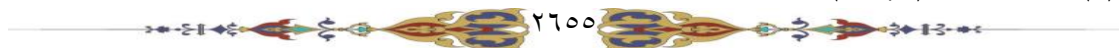
قال ابن القيم: " قاله على سبيل التقرير، لتفريع قومه أو على سبيل الاستدلال والترقي "<sup>(٤)</sup>، وقال : " قيل: إنها على وجه إقامة الحجة على قومه،

(١) جامع البيان (١٠٣/٢٥).

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٧٦ ، ٧٨ .

(٣) التفسير الكبير (٤٠، ٤١/١٣).

(٤) دقائق التفسير (١١٢/٢).





فتصور بصورة الموافق ليكون أدعى إلى القبول، ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصاً آفلاً<sup>(١)</sup>.

ودعا الله نبيه إلى تألف قلوب اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام من خلال دعوتهم إلى محبب إليهم ، إلى اتباع ملة إبراهيم الذي يؤمنون به، وهي في الحقيقة دعوة كل الأنبياء، فقال: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "احتج الله لنبيه محمد ﷺ بأبلغ حجة وأوجزها وأكملها، وعلمها محمداً نبيه ﷺ فقال: يا محمد، قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: ﴿كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾<sup>(٣)</sup>: بل تعالوا فلنتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها؛ بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه، وأمر به، فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، وتدع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا، فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا إلى الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم".<sup>(٤)</sup>

ومن التنزل مع الآخر والرفق في مجادلته مخاطبته باصطلاحاته ولغته، يقول ابن تيمية: "وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه، إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعُرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتاجوا إليه".<sup>(٥)</sup>

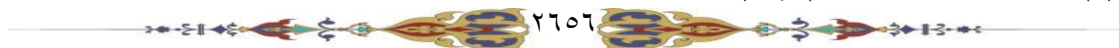
(١) مدارج السالكين (٦١/٣).

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٥ .

(٤) جامع البيان (٥٦٤/١).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٤٣/١).





وقال رحمه الله: "ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات كالسلاح في المحاربات، فإذا كان عدو المسلمين - في تحصنهم وتسلحهم - على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو الله أطوع وللعبد أنفع، وهو الأصلح في الدنيا والآخرة، وقد يكون الخبير بحروبهم أقدر على حربهم ممن ليس كذلك، لا لفضل قوته وشجاعته، ولكن لمجانسته لهم، كما يكون الأعجمي المتشبه بالعرب - وهم خيار العجم - أعلم بمخاطبة قومه الأعاجم من العربي".<sup>(١)</sup>

ويقول: "كما ننتزل إلى اليهودي والنصراني في مناظرته، وإن كنا عالمين ببطلان ما يقوله اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتّي هي أحسن﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتّي هي أحسن﴾<sup>(٣)</sup>، وإلا فعلمنا ببطلان ما يعارضون به القرآن والرسول ويصدون به أهل الإيمان عن سواء السبيل، وإن جعلوه من المعقول بالبرهان أعظم من أن يبسط في هذا المكان".<sup>(٤)</sup>

وقال الشيخ ابن سعدي: "فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه الحق أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتّي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدّها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود".<sup>(٥)</sup>

لكن هذا لا يعني موافقة الآخر على أصوله الباطلة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والله تعالى لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم إن لم تكن علماً، فلو قُدرَ أنه قال باطلاً، لم يأمر الله أن يحتج عليهم

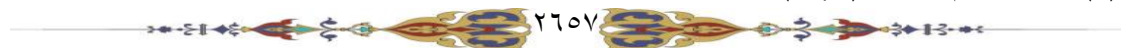
(١) مجموع الفتاوى (١٠٧/٤).

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل (١/١٨٨).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٩٣/٣).





بالباطل، لكنّ هذا قد يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه، لا لبيان الدعوة إلى القول الحق ودعوة العباد إليه..<sup>(١)</sup>

٧- إنصاف المخالف بذكر محاسنه:

المسلم رائده الحق، والحكمة ضالته، فهو يأخذها ويقر بها بلا غضاظة، من أي طريق جاءت، فالرسول ﷺ قال لأبي هريرة عن الشيطان مصدر الشرور والآثام: ((صدقك، وهو كذوب، ذاك شيطان)).<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا الأدب درج أصحاب النبي ﷺ فأقروا لمخالفهم ما عندهم من صور إيجابية، قال المستورد القرشي وهو عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس)). فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله ﷺ.

قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين وييتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك.<sup>(٣)</sup>

ولا غرو في ذلك الإقرار للمخالف بمزيتة، فقد أدبهم القرآن وصاغهم ، حين دعاهم إلى التزام العدل مع المخالفين ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾<sup>(٤)</sup> .

فقد قال تعالى مثبتاً بعض خصال الخير لأهل الكتاب: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيلٌ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) الرد على المنطقيين (٤٦٨).

(٢) رواه البخاري ح (٣٢٧٥).

(٣) رواه مسلم ح (٢٨٩٨).

(٤) سورة المائدة ، الآية ٢ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٧٥ .





وكذا أتى النبي ﷺ على النجاشي بما فيه من خلال الخير، وهو يومئذ على الكفر، فقال لأصحابه: (( إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً)).<sup>(١)</sup>

وفي درس بليغ آخر يقبل النبي ﷺ من يهودي نصيحته، ففي الحديث ترويه قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأبحار رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون؟ قال: (( سبحان الله! وما ذاك؟)) قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة.

قالت: فأمهّل رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: ((إنه قد قال [أي حقاً]، فمن حلف فليحلف برب الكعبة)).<sup>(٢)</sup>

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: "اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً - أو قال فاجراً - واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نوراً".<sup>(٣)</sup>

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : " ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به".<sup>(٤)</sup>

وهكذا فإن الحق رائد المحاور المسلم، كائناً من كان قائله، ورفض الحق والاستكبار عن قبوله من الآخر مجاف لآداب الإسلام، الذي يوصي المؤمنين: ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾<sup>(٥)</sup>.

#### ٨- حسن الاستماع للمحاور الآخر

من أهم الآداب التي لا ينفك عنها الحوار؛ حسن الاستماع للمحاور الآخر، إذ لا يمكن تحقيق المرجو من الحوار إذا كان من طرف واحد، بل لا يمكن تسميته حينذاك حواراً، ولا يخفى أن المحاور المسلم سيسمع من محاوره نصرة لدينه الباطل وكفراً بالمعتقد الحق الذي يدعو هو إليه، لكن سماعه لذلك ضروري ليُسمع الآخرين هدي الله.

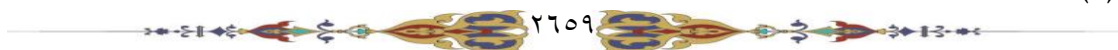
(١) رواه ابن إسحاق في سيرته، انظر فتح الباري (١٨٨/٧).

(٢) رواه أحمد ح (٢٦٥٣٣).

(٣) رواه أبو داود ح (٤٦١١)، والبيهقي في سننه (٢١٠/١٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠١/٥).

(٥) سورة المائدة ، الآية ٢ .





وقد جلس النبي ﷺ إلى عتبة بن ربيعة يستمع إليه، وهو يعرض على النبي ﷺ حطاماً من الدنيا، ويطلب منه التخلي عن دعوته ودينه في مقابلها، يقول ابن هشام: "حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: ((أقد فرغت يا أبا الوليد؟)) قال: نعم. قال: ((فاسمع مني)) قال: أفعل".<sup>(١)</sup> ومن هذا الأدب السامي استلهم عطاء بن أبي رباح خصلة من خصال الخلق الجم، فيقول: "إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له، كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد".<sup>(٢)</sup>

ولا ريب أن تخلق المحاور المسلم بهذه الآداب واجب شرعي، وهو أدعى إلى قبول دعوته وسماع حجته، فالدعوة إلى الإسلام بالحوار والجدال ينبغي أن تكون منضبطة بالوسائل والآداب الشرعية التي رأيناها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

### الخاتمة

في ختام الحديث عن منهج الحوار الاسلامي في التعامل مع الآخر ، فإن الباحث قد توصل إلى جملة من النتائج والتوصيات، من أهمها:  
أولاً: أهم النتائج.

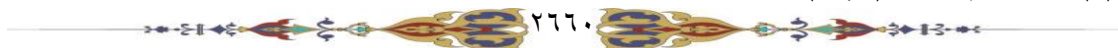
- ١- الحوار أمر ضروري لإقامة علاقات طيبة مع الآخرين، لأن الإنسان لا يستغني عن أخيه الإنسان في معاملاته اليومية وحياته الشخصية.
- ٢- حث الشريعة الإسلامية على الحوار الهادف بين مختلف التوجهات وعلى جميع المستويات، مع حرصها على توفير المناخ المناسب لهذه الحوارات.
- ٣- أن يصدر الحوار من أناس على مستوى من العلم والذكاء، مع عرض للمسائل عرضاً موضوعياً وبأسلوب شيق ومهذب، ويتصفون بسلامة القلب من الغرور والتباهي والأنانية، ولا يخالطها الهوى.
- ٤- حتى يحقق الحوار مقاصده لا بد أن يكون فعالاً، وذا مضمون هادف يثير اهتمام الجهة المخاطبة، ومن مستلزمات هذا الأمر معرفة رغبات المخاطبين وآمالهم وأهدافهم، مع توفر الحرية في إبداء الرأي.
- ٥- الحوار من أنجح الوسائل لتحقيق جملة من المقاصد الشرعية، مثل:

- التعارف، فالحوار يساعد على إيجاد مساحة من التفاهم مع الآخر، يستطيع المسلم وغير المسلم التعامل من خلالها ضمن قدر مشترك من القيم الإنسانية النبيلة.

- التعاون، فالحوار يحقق دعوة الإسلام التعاونية التي لا تنحصر في نطاق الأمة التي كونها، بل تكون على نحو من السعة والشمول بحيث

(١) السيرة النبوية (١٣١/٢)،

(٢) سير أعلام النبلاء (٨٦/٥).





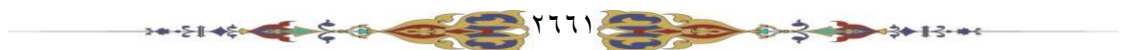
يسع "الحياة الإنسانية" بأكملها، دون تخصيص جانب على جانب، ولا طرف على طرف،

• الحوار يسهم في إحقاق الحق، ويساعد على التعرف على الإسلام، وشمولية رسالته العالمية العظيمة.

٦- ليس من المقاصد الشرعية للحوار أن تتوحد الأديان في دين واحد، يختلط فيه الحق والباطل، لأن الحق يكشف زيف الباطل ويدحضه، لا يحقق أي حوار مقاصده وأهدافه المرجوة منه ما لم يكن قائما على جملة من الأسس ومنضبطا بجملة من الضوابط، مثل: التواضع، والمحاورة بالتّي هي أحسن، والالتزام بالأسلوب الهادف.

### المصادر والمراجع

١. أحكام أهل الذمة، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر : رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ - ١٩٩٧، تحقيق : يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري، عدد الأجزاء : ٣
٢. الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف : علي بن محمد الأمدي أبو الحسن، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤، تحقيق : د. سيد الجميلي، عدد الأجزاء : ٤
٣. إحياء علوم الدين، المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر : دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء : ٤
٤. آداب البحث والمناظرة للشنقيطي، لفضيلة الشيخ : محمد الأمين بن المختار الشنقيطي
٥. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي بتحقيق مجموعة من المحققين ناالناشر دار الهداية، عدد الأجزاء / ٤٠
٦. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، لإبن جماعة الشافعي
٧. التعريفات، المؤلف : علي بن محمد بن علي الجرجاني: الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري
٨. تفسير الجلالين، المؤلف : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر : دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء : ١
٩. تفسير القرآن العظيم ناالمؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [ ٧٠٠ - ٧٧٤ هـ ] ناالمحقق : سامي بن محمد سلامة، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، عدد الأجزاء : ٨





١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ،المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،الناشر : مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ،عدد الأجزاء : ١

١١. الجامع لأحكام القرآن ،المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) ،المحقق : هشام سمير البخاري ،الناشر : دار عالم الكتب ،الرياض ، المملكة العربية السعودية ،الطبعة : ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م

١٢. الحوار مجادلة جادة لا مDAHنة ،مقالة .أ.د. جعفر شيخ إدريس

١٣. زاد المعاد في هدي خير العباد ،المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١ هـ) ،الناشر : مؤسسة الرسالة ،بيروت - مكتبة المنار الإسلامية ،الكويت ،الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ،عدد الأجزاء : ٥

١٤. سنن ابن ماجه ،المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ،الناشر : دار الفكر - بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،عدد الأجزاء : ٢ ،مع الكتاب : تعليق محمد فؤاد عبد الباقي

١٥. سنن الترمذي ،المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ،الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ،تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ،عدد الأجزاء : ٥

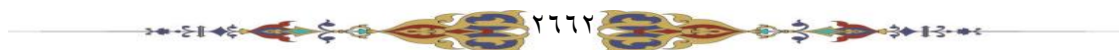
١٦. سنن النسائي الكبرى ،المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ،الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩١ ،تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن نعد الأجزاء : ٦

١٧. سير أعلام النبلاء ، مصدر الكتاب : موقع يعسوب

١٨. السيرة النبوية لابن هشام ،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ،سنة الولادة / سنة الوفاة ٢١٣ ،تحقيق طه عبد الرعوف سعد ،الناشر دار الجيل ،سنة النشر ١٤١١ ،مكان النشر بيروت

١٩. صحيح مسلم ،المؤلف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفق الجديدة بيروت ،الطبعة : عدد الأجزاء : ثمانية أجزاء في أربع مجلدات عدد الأجزاء : ٣

٢٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري ،المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،الناشر : دار المعرفة - بيروت ،





- ١٣٧٩، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، عدد الأجزاء : ١٣
٢١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، المؤلف : محمد بن علي الشوكاني ، عدد الأجزاء : ٥
٢٢. لسان العرب للمؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، الناشر : دار صادر - بيروت نالطبعة الأولى، عدد الأجزاء : ١٥
٢٣. مجلة البيان العدد ١٩٠ ، جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ ، ينظر الموقع <http://www.jaafaridris.com/Arabic/aarticles/hiwar.htm>
٢٤. مجموع الفتاوى ، المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، المحقق : أنور الباز - عامر الجزار، الناشر : دار الوفاء ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، مصدر الكتاب : موقع الإسلام
٢٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ، تحقيق : محمد حامد الفقي
٢٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المؤلف : أحمد بن حنبل ، المحقق : شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثانية ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء : ٥٠ (٥٠+٤٥ فهرس).
٢٧. المعجم الوسيط . المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر - محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق / مجمع اللغة العربية ، عدد الأجزاء / ٢
٢٨. الموافقات ، المؤلف : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ) ، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر : دار ابن عفان ، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، عدد الأجزاء : ٧